



واحد من أبرز النعمال السينمائية النخيرة المدافعة عن حق الشعوب في التحرر والحياة..

فيلم «عصر الظلا»..للإنسانية المقاومة بين بطش الطغاة وعنصرية «الأوسكار»

20-04-2017 الساعة 19:45 | نواف القبيسي

باختصار لمثل هذا الفيلم الكوري الجنوبي تم اختراع السينما؛ ورغم بعض أخطائه التي يهرها الناقد له لفرط جمال مضمونه، إلا أنه يبقى أحد أبرز أفلام المقاومة في هذا القرن، رغم فشله في الحصول على «أوسكار» لأفضل فيلم أجنبي لهذا العام رغم قبول ترشحه للجائزة.

كانت أخطاء الفيلم، في رأينا في محاولة من مخرجه ومؤلفه وكاتب السيناريو والحوار «جي وون كيم» محاولة لجذب الانتباه الأمريكي إلى نسق العهل الدرامي التشويقي وجودته؛ ولكن «أوسكار» الجائزة التي ما تكف عن إعلان انحيازها ما كانت لتغفر أن الفيلم يدعو إلى تحرر الشعوب من ظلم الاحتلال والأنظمة الفاشية فيها ترى القوى الأعظم في العالم التحرر إرهأباً!

عداوة المقاومة

من هنا أثرت «الأوسكار» الأمريكية باهتياز التغاضي عن جهاليات فيلها الليلة «عصر الظلال» ومنح الجائزة لدورة هذا العام لـ «أصغر فرهادي»؛ رغم ادعائه معاداة الولايات المتحدة لحظر «تراهب» سفر مواطني دول إسلامية إلى الولايات المتحدة ومنها إيران، لتحقيق الجائزة المسيسية ضرب عدة عصافير بحجر واحد: فضح المجتمع الإيراني؛ لا على إنه مهتجع شيعي بعيد عن روح الإسلام الحقيقية بل على إنه مهتل للدين الحنيف؛ ثم ادعاء المساهمة مع المسلمين بمنح «أوسكار» أفضل فيلم أجنبي لمرتتين لمخرج مسلم (عن فيلم انفصام 2012، وفيلم البانع 2017هـ)؛ وفي النهاية نأت الجائزة عن أجواء المقاومة .

ملحة إنسانية

فيلم «عصر الظلال» انتزاع لورقة تاريخية من سياق الاحتلال الياباني لهملكة جوسون قبل أن تتم إعادة تسميتها باسم كوريا ومن ثم نقل عاصمتها إلى سيوا؛ وهي الفترة الواقعة بين عامي 1910 و1945م، وفي أواخر عقد العشرينيات من القرن الماضي تدور أحداث الفيلم عبر مواطنين فرنسيين وكوريين (جوسونيين بحسب الفيلم) يحاولون جلب أسلحة متفجرة من شانغهاي في الصين لتدمير منشآت حربية يابانية في سيوا؛ وبين عنف المصيدي الياباني لهم.

بدأ عرض الفيلم في 7 من سبتمبر/أيلول الماضي في 45 دولة من حول العالم؛ وحقق إيرادات مالية ضخمة، وهو يدور في قرابة ساعتين وثلاث الساعة في إطار ملحمة إنسانية عن المقاومة رغم الصعوبات الحديدية لرحيل المُستبد الياباني؛ حتى إن المقاومين أنفسهم كانوا يخشون بعضهم أحياناً يأساً من الوصول إلى حا؛ في حين كان اليابانيين يقولون: «لا حل لكل (جونسوني) سوى بطاعة الإمبراطور الياباني أو الموت»!

يبدأ الفيلم برجاء المُقاوم «كيم سانغ أونغ» المُمثل «هي - سون بارك» الإمبراطور الياباني بجلاء قواته عن بلاده؛ ورفض الأخير لطلبه مما يدفعه لمقاومة القوات اليابانية وحيداً حتى انتحاره؛ وكان الإمبراطور يأمل في القبض عليه حياً لمعرفة بقية خلية المقاومة.

وفي المقابل فإن قائد الشرطة اليابانية في جوسون «لي جونغ سون» (سونغ كانغ هو) يشعر بتأنيب الضمير لما يجري في المقاومين من أهل بلده؛ وهو طرف الخيط الذي يلتقطه قائد المقاومة الجديد «سونغ كانغ هو» (لي بيونغ هون) فيكلف أبرز أفراد خليته «كيم سونغ هو» (هي سون بارك) بتجنيد قائد الشرطة.

وعبر ملحمة إنسانية من محاولة محاكاة وتقليد جوسون القديمة تبدأ مشاهد الفيلم تتوالى من العربات الخاصة بنقل البشر من الأغنياء اليابانيين والسياح عبر مركبات يجرها بشر؛ بالإضافة إلى الهباني القديمة ذات السلالم العالية؛ والنوافذ الزجاجية؛ والأعمدة المنتشرة هنا وهناك؛ والسيارات ذات الطراز القديم؛ وأدوات المائدة وملابس النساء والمكياج وقصات شعر الرجال؛ والأسلحة المُستخدمة في القتال؛ بالإضافة إلى السجون والقنابل؛ ودخان وقود تزويد خطوط السكك الحديدية؛ عصر كامل حرص مخرج الفيلم على محاكاته بحرفية أضاعت مضمون الفيلم أو خطه الدرامي أحياناً في مزيد من الأمور الشكلية في محاولة للإثبات المخرج لذاته رغبة في نيل الجائزة؛ وهو ما أظهر أخطاء في المونتاج من ظهور ثوان قبل التمثيل وكأن الأبطال يستعدون للدخول في الحالة..!

جونغ سون >>

النفس البشرية والغابة

البشرية يصدر حكمه: «الجاسوس المشترك له وطن واحد؛ فقط نساعد في فتح أبواب قلبه»؛ وعبر توالي مشاهد اللقاءات في الغابة تستوي الترجمة السينمائية للنفس البشرية بتناقضاتها وحبها للمصلحة الخاصة المؤدي بها إلى الانهيار.. مع فتيل مشاعر الخير القابل للازدهار إن وجد الذي يحسن المحافظة عليه.

تنجح الخطة، ويتخلص قائد الشرطة من رجل المخابرات المكلف بالعمل معه على إيجاد الفريق المقاوم الياباني الأنصل «هاشي هوتو» (تاي غو إيوم) لكن أفراداً من المقاومة موثرين يفقدون حياتهم؛ وتفشل الخطة ويصير لزاماً على قائد الشرطة «جونغ سون» المشاركة في تعذيبهم حتى الموت إن أمكن في مشاهد مكررة من أفلام «سيرينا» (الأمريكي)، «1948» البريطاني، «الكرنك» (المصري) وغيرها.

وتهدأ في الحبو نحو دهاليز النفس البشرية يخذعنا المخرج نفسه بالفوض خلف تقليد أجواء السينما الأمريكية (طهراً في الجائزة) فيوهنا بفشل المقاومة خلال قرابة ثلاث أرباع الساعة مخفياً جزء من الحوار حول مطلب المقاومين من قائد الشرطة إنكار علاقته بهم بشرط أن يكول الكفاح وهو ما يقوم في نهاية الفيلم بفعله لينام أبرز المقاومين الأحياء مرتاحاً في زناناته فيما يقوم قائد الشرطة باغتيال الإمبراطور الياباني (!).

إنسانية وانحياز

إننا أمام عمل سينمائي يشعر المشاهد بعد الفراغ منه بأنه أكثر نبلاً في مواجهة الحياة ومحاولة التحرر من أسر الظلمة؛ وقد فهمت اللجنة الموكلة بجائزة «النوسكار» الرسالة التي أراد الفيلم إيصالها لكل الشعوب المقهورة في العالم أن الضوء مهما ظهر ضعيفاً في إهكانية تحررها فإن الصباح قادم لذا منعت نيابة الجائزة ومنحتها إلى عمل «فرهادي» الفضائحي!

لعبت الموسيقى التصويرية دوراً رئيسياً بالإضافة إلى الإضاءة، وكان يفضل أن يتم اختصار الفيلم لمعالجة أخطاء المونتاج وإن لم تؤثر على جودة مضمونه بشكل عام.